

صدى الأجيال

-١-

اكنت صخرة صماء في قمة علياء تنتظر بعناد الى السماء في هام لبنان الجرداء ام نسرا
بنى وكرا في قمم حرمون واقتحم العواصف والمنون والرف الجرود والحزون وتطلب الارتفاع
والانفراد والكأبة والابتعاد حتى ارى نفسي الآن تتوق بتعطش الى قمم الجبال؟
ليتني كنت صخرا لان الصخور قلبها قاس وليتني كنت نسرا لكنت اذا حرا احلق في
السماء شعارا للحرية والاباء.

لماذا لا تحب نفسي سوى الوحشة والانفراد وانا الان في قلب المدينة المكتظة بالجماهير
الطالبة الالفة؟ ولماذا لا احب سوى سماع هبوب العواصف وموسيقى اليوم يعبدها القوم وانا
اراهم تخدش الاذان ما بين طبل يسعل وبوق يصهل وكمنجة قصاى وبيانو يهدر وناي يشخر.
انني اسمع صدى العواصف في نفسي كلما اصغيت الى اصداى نفسي اني احب منظر
الصخور والجرود القاحلة العالية.

اني احب صوت الشلال المنحدر من فوق. المتكسر على الصخور لانه رمز نفسي
ولكني لا احب الجدول الهادئ الجاري في السهل.

اني احب ان اسمع أنين جذوع الاشجار التي تكسرها الريح. ان بها من الكبرياء المهلكة
ما بقلبي وبنفسي عواصف وانواء تتلاطم فيا ويل قلبي منها.

حنانك يا قمم لبنان الجرداء ان روجي قد هامت ما بين مضائقك زمناً قبل ان تتخذ لها
سكناً هذا الجسم الضعيف.

انني قطعة منك هربت مع الريح واخالني هبوب العواصف في مضائقك او ارواح
النسك في مغائر ك او هدير الشلال ما بين صخورك.

-٢-

العاصي وانا تصاحبنا ودرجت معه منذ كنت في المهد.
نفسى من صخورك يا لبنان والعاصي يجري من احضانك فنحن من موطن واحد نحن عاصيان!
طالما همس العاصي في انني بعد الاصيل الغازأ فسرتها نفسي وفهمها قلبي.
وطالما نظرت في مائه فرأيت في قعره الصافي صورة عشتاروت تغتسل.
وطالما ابصرت على ضفافه بنات قدس يقمن حفلة عيد أدونيس ويعانقن العشاق على
المروج الخضراء.

هنالك يا لبنان ابصرت حبيبتى فمالت اليها نفسي لانها ولدت قرب قممك وتنشقت رياح
العواصف من مضائقك.

هي قانتى يوماً لما كنا مضطجعين على ضفة العاصي تحت الصفاصاف وارتنى قممك
الجرداء الزرقاء الظاهرة من وراء بحيرة قدس وشارت بيدها الى هناك وتطلعت في عيني.

رأيت في عينها ازرقاق قممك البعيدة وهدير شلالاتك العانية وثبات صخورك القاسية
وبروق عواصفك الطريفة.

قالت لي بعينها مقالا ...

ففهمت.

وتتهنت.

فتتهنت.

-٣-

على سفح لبنان دهرًا طويلًا نمت غابة في الزمان القديم من الارز والسرور والسنديان
تسامت الى الجو قرب الغيوم وكانت تهب الرياح عليها وتجرف منها ضعيف الهشيم. اذا ما
تحطم منها فروع ثقلها الرياح من مجرة وكلما اقتلعت العواصف شجرة يجرفها السيل بضجة.
الآن ان الغابة لم تهلك. فلا العواصف ولا السيول ولا قوى الادهار وعداء البقاء
واندفاع الانواء قدرت ان تبيد كل اشجارها.

هنالك على القمة الجرداء لا تزال ارزة باسقة ترمق الجهات الاربع وتهزأ بالعالم اجمع
ولا تهمها السيول والرعود تلك هي الروح السورية. تلك ورثتنا الفينيقية تلك هي الحرية القومية
تئن ولكنها باقية في رؤوس الجبال.

اما هشيم اخواتها فقد ذرته الريح من اجيال ومنه ما استعمله الفرس والرومان والعرب
والترك علفا لخيولهم ومنه ما اشعله المتعصبون على مذابحهم ومنه ما تطاير في الافاق.

وانا احد اوراق ذلك الهشيم البالي طارت روجي من عقالي مع عاصفة الاجيال ولا تنزال
تطير في دوارها واراني الان ارجع الى حيث انفصلت. اراني ادور مع الريح حول الارزة
الباسقة الباقية من القديم وارى الارزة تثنّ لانها عرفنتني.

انا احد اوراقها وقد كنت احيا بحياتها.

لي روح من حرية سوريا الميتة.

ميتة ولكن رمزها لم يموت.

فالسلام من الحرية الميتة الى الرمز الذي لا يموت.

(نسيب عريضة)